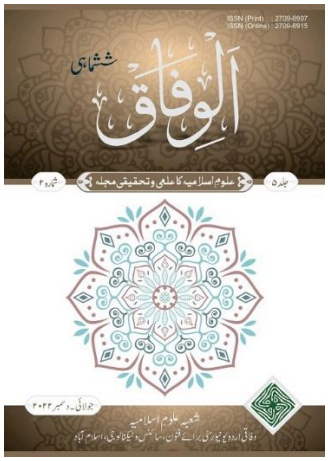

Al-Wifaq Research Journal of Islamic Studies
Volume 5, Issue 2 (July - December 2022)
eISSN: 2709-8915, pISSN: 2709-8907
Journal DOI: https://doi.org/10.55603/alwifaq
Issue Doi: https://doi.org/10.55603/alwifaq.v5i2
Home Page: https://alwifaqjournal.com/

Journal QR Code:

Article	الإعجاز، أوجهه ومراحله في القرآن الكريم Inimitability, it's Aspects and Stages in the Holy Quran
Authors	Mufti Rahim Ullah [1]; Hafiz Muhammad Shah Faisal [1]
Affiliations	[1] PhD Scholar, Department of Tafseer & Quranic Sciences, Faculty of Usuluddin (Islamic Studies), International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
Published	31 December 2022
Article DOI	https://doi.org/10.55603/alwifaq.v5i2.a1
QR Code	
Citation	Rahim Ullah, and Muhammad Shah Fasial. 2022. "الإعجاز، أوجهه ومراحله في القرآن الكريم: Inimitability, it's Aspects and Stages in the Holy Quran". *Al-Wifaq* 5 (2):1-12. https://doi.org/10.55603/alwifaq.v5i2.a1.
Copyright Information:	Inimitability, it's Aspects and Stages in the Holy Quran © 2022 by Mufti Rahim Ullah & Hafiz Muhammad Shah Faisal is licensed under CC BY 4.0
Publisher Information:	Department of Islamic Studies, Federal Urdu University of Arts Science & Technology, Islamabad, Pakistan.

Indexing

Islamic Research Index

ASIAN Research Index

HJRS HEC Journal Recognition System

Crossref

INTERNATIONAL Scientific Indexing

Academic Resource Index ResearchBib

الإعجاز، أوجهه ومراحله في القرآن الكريم

Inimitability, Its Aspects and Stages in the Holy Quran

مفتي رحيم الله

حافظ محمد شاه فيصل

طالبا الدكتوراه، قسم التفسير وعلوم القران، كليه الدراسات الإسلامية، الجامعة الاسلامية العالمية إسلام اباد.

ABSTRACT:

The paper deals in describing the miraculous aspects of the Holy Book, Al-Quran along with a deep understanding of its rationales and interpretation of hidden prospectus beyond periodic revelations. Indeed, the Quranic sciences are the commands of the Almighty that have been propagated to mankind through messengers for complete guidance. These teachings are everlasting and remain the best fit in all walks of life across the globe in every era.

It is also pertinent to mention Quranic Verses have a specific layout, textual arrangement and word sequence that is entirely different and distinct from existent literature and no one claim to produce likewise. The paper emphasizes highlighting miraculous aspects, rationales and its different phases in order to portray that distinct characteristic of the Holy Book.

The researcher will find in this article the definition of "Inimitability" types, the four stages of the challenge, determining the meaning of the "مثله" and determining the reference of the pronoun in "مثله"

KEYWORDS:

Inimitability, Miracle, Different Stages. Holy Quran

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وخلقه محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

كما نعرف أن القرآن كلام رب العلمين وهو معجزة خالدة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي تدبر في القرآن الكريم عرف وأدرك أنه كلام الله لا ريب فيه، وهذا كتاب نزل به الروح الأمين بلسان فصيح لا يساوي آخر، فصيح بكلماته ومعانيه ونظمه، تحدى به المنكرين والكافرين وطلب منهم الاتيان بمثله، ولكن كلهم قد فشلوا تمام الفشل، ولا يأتوا بمثله أو بشيء من مثله ولن يأتوا، فاتضح الأمر للجميع وهي من جانب الله وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله بعث محمدا هدى ورسولا ورحمة للعالمين.

وإضافة إلى ذلك أن الله تعالى لقد أرسل الأنبياء عليهم السلام هادين الناس، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويؤيدهم بالمعجزات تصديقاً لنبوتهم. والمعجزات التي جاءت قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت

حسية ومادية، وكانت تأتي وفقا لأحوالهم الشخصية، وتنتهي بانتهاء تلك الحالات أو بانتهاء ذلك الزمن، وهذه المعجزات لا تكون حجة إلا على الشاهدين فحسب، فهي كانت خاصة بزمن معين وقوم. أما القرآن الكريم فهو المعجزة الكبرى الخالدة المستمرة الدالة على صدق نبوة النبي محمد.

فهذا بحث كمقدمة في الإعجاز يحتوي عدداً من القضايا تم مناقشتها بالتفصيل بين ثناياه.

١. تعريف الاعجاز
٢. مفهوم المعجزة
٣. المراحل الأربعة للتحدي
٤. القرآن معجز في نفسه أم لا؟
٥. تحديد المراد بالمثلية في قوله "مثله
٦. تحديد مرجع الضمير في قوله "مثله"
٧. القدر المعجز من القرآن الكريم
٨. وجوه إعجاز القرآن
٩. التوصيات والنتائج

تعريف الإعجاز:

قال مناع القطان في كتابه:

> "الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم"[١]

مفهوم المعجزة:

وقال مناع القطان أيضا إن المعجزة هي "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة".[٢]

والقرآن المجيد الذي تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم العرب، وقد ثبت عدم قدرتهم على مواجهته رغم خبرتهم الطويلة في البلاغة والبلاغة، ومثل هذا الشيء يمكن فقط تكون معجزة.

المراحل الأربعة للتحدي:

فقد يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى العرب بالفرقان المجيد على مراحل أربعة:

---

١. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ٢٦٥.

٢. القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٥.

١: قال مشركو مكة: القرآن والتوراة سحران، ومحمد وموسى ساحران، تعاونا على التدجيل والتضليل، وصدّق كلّ منهما الآخر، وإنا بكلّ منهما كافرون، لا نؤمن بما جاءا به. فتحداهم الله بأن يأتوا بكتاب آخر أهدى للناس: "قلْ فأْتوا بكتابٍ منْ عنْد اللّه هو أهْدى منْهما أتّبعْه، إنْ كنْتمْ صادقين"[٣].

٢: الثاني هو التحدي العام في أسلوب عام يشملهم ويحتوي غيرهم من الإنس والجن وهو التحدي الذي يظهر على طاقتهم المشتركة، بقوله تعالى: "قلْ لئن اجْتمعت الْإنْس والْجنّ على أنْ يأْتوا بمثْل هذا الْقرْآن لا يأْتون بمثْله ولوْ كان بعْضهمْ لبعْضٍ ظهيراً"[٤].

٣: ثم الثالث هو التحدي بعشر سور منه في قوله تعالى: "أمْ يقولون افْتراه قلْ فأْتوا بعشْر سورٍ مثْله مفْتريات وادْعوا من اسْتطعْتمْ منْ دون اللّه إنْ كنْتمْ صادقين فإنْ لّمْ يسْتجيبوا لكمْ فاعْلموا أنّما أنْزل بعلْم اللّه"[٥].

٤: ثم الرابع وهو التحدي بسورة واحدة منه" في قوله: "أمْ يقولون افْتراه قلْ فأْتوا بسورةٍ مثْله"[٦]، وذكر هذا التحدي مرة ثانية في قوله: "وإنْ كنْتمْ في ريْبٍ ممّا نزّلْنا على عبْدنا فأْتوا بسورةٍ مّنْ مثْله"[٧].[٨]

ونظير هذا مثل شخص يواجه ويتحدى زميله وصديقه بتصنيفه، لذلك يقول، أحضر لي فصلًا مثل هذا، أو أحضر لي نصفًا، أحضر لي ربعه، أحضر لي سؤال منها، فهذه هي درجة النهاية في التحدي وإزالة العذر.

القرآن معجز في نفسه أم لا؟

انقسم العلماء فيه إلى قولين، قال البعض: القرآن معجزة في حد ذاته، وقال آخرون إنه ليس معجزة في حد ذاته إلا أن الله عزوجل لما صرف دواعيهم عن الإثبات بمعارضته.

القول الأول لأبي إسحاق إبراهيم النظام:

قول أبي "إسحاق إبراهيم النظام"[٩] ومن تبعه كالمرتضى من الشيعة أشار إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، وذكروا معنى الصرفة حيث قالوا: أن الله حرّف العرب عن معارضة القرآن رغم قدرتهم على ذلك، فكان هذا الاختلاف غير عادي، وذكر المرتضي معني الصرفة حيث قال: أن الله سلبهم من العلوم التي احتاجها للمعارضة ليخرج بمثال من القرآن وهذا القول يدل على عجزهم، فلا يمكن أن يقال في شخص سلبت قدرته

---

٣. القران، سورة القصص، ٢٨: ٤٩

٤. القران، سورة الإسراء، ١٧: ٨٨

٥. القران، سورة هود، ١١: ١٣-١٤

٦. القران، سورة يونس، ١٠: ٣٨

٧. القران، سورة البقرة، ٢: ٢٣

٨ القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٦؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠)، ٢١/٤٠٦.

٩. هو أحد رءوس المعتزلة، وإليه تنسب الفرقة النظامية، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين.

على شيء أن الشيء أعجزه ريثما يقدر بالإتيان به في وقت آخر، وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله، فلا يبقى القرآن معجزاً، والكلام عن إعجاز منسوب إلى القرآن سوف يبقي ثابتًا له في كل عصر، لا عن إعجاز الله. [١٠]

القول الثاني هو قول الجمهور:

قول الجمهور وهو المختار عندنا في هذا الباب أن نقول إن القرآن معجز في حد ذاته أم لا؟ "إذا كان القرآن معجزة في حد ذاته، فقد حدث المطلوب، وإذا لم يكن معجزة، بل استطاعوا أن يخرجوا بمعارضته، وكانت الأسباب كثيرة وحاضرة لإخراج هذه المعارضة و لم يكن لديهم أي عائق أو حواجز وبحسب هذا التقدير، فإن تقديم معارضته واجب ضروري، وبالتالي فإن عدم جلب هذه المعارضة بالتقديرات المذكورة يعد انتهاكاً للعرف، وسيكون معجزة. هذا هو المسار الذي نختاره في هذا الفصل".

فالحاصل أن القول بالصرفة قول بين الفساد وقد رد الله سبحانه وتعالي عليه في كتابه حيث قال: "قلْ لئن اجْتمعت الْإنْس والْجنّ على أنْ يأْتوا بمثْل هذا الْقرْآن لا يأْتون بمثْله ولوْ كان بعْضهمْ لبعْضٍ ظهيراً" ٣, فإن هذه الآية تدل على عجزهم مع أن القدرة باقية، ولو سلبوا القدرة لم يبق أي فائدة لاجتماعهم، ليتزلوا منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره.[١١] هذا مع أن الإجماع قد انعقد على أن الإعجاز يضاف إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله.

بالإضافة إلى ذلك، لو سلمنا القول بالصرفة فيلزم منه محذور فلا بد من التنبيه منه، وهو أن المعجزة تزول بزوال زمن التحدي، والقرآن خالٍ من الإعجاز، وفيه آية. إبطال إجماع الأمة على أن أعظم معجزة الرسول باقية وأبدية، و لم تبق له معجزة إلا القرآن.[١٢]

المراد بالمثلية في قوله "مثله":

اتفق جمهور العلماء على أن القرآن معجز بنفسه، ولكن المشكلة هناك في المثلية، ما لمراد بالمثلية في قوله تعالي" فأتوا بسورة من مثله".

هناك رأيان:

بعضهم يقولون إن المراد بالمثل اللغة العربية يعني نظم القران، فلم يستطيعوا أن يأتي بمثله في العربية، فلو أخذنا بهذا الرأي فلا يثبت إعجاز القرآن كاملا، لأن هناك آية أخري في سورة القصص وهي:

---

١٠. مأخوذ من: القطان، مباحث في علوم القرآن، ٢٦٨.

١١. مأخوذ من: الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٠٦/٢١

١٢. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣)، ٨/٤.

"قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين"[١٣]

القرآن تحدي الكفار في هذه الآية بإتيان مثل التوراة، والتوراة ما كانت باللغة العربية، فلا يكون القرآن معجزا بالعربية.

فنقول إن المراد بالمثلية الهداية، لأن القرآن هدي للناس، والناس فيهم العرب والعجم، ففي هذه الصورة التحدي شامل لكافة الناس، فالقرآن تحدي كافة الناس فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله في الهداية.[١٤]

مرجع الضمير في قوله "مثله"

"فأْتوا بسورةٍ منْ مثْله" [١٥] أنّه يحْتمل معْنيْن، هما: الأول مثل القرآن الكريم والثاني مثل الرسول أي ايتوا بسورة من مثل القرآن الكريم أو من مثل الرسول.

حينما نتأمل في الأسلوب القرآني فيؤيد هذين المعنيين، لأننا نجد عند التأمل "أن الطريق الذي ذكر بطلب سورة كان على نوعين": فمرة قال: "بسورةٍ مّثْله"[١٦].

ومرة قال: "بسورةٍ مّن مّثْله"[١٧].

وكل من النوعين بليغ في موضعه ففي "بسورةٍ مّثْله"[١٨] ظهر أن المثلية هنا محققة، أي: مثل ما جاء من سورة القرآن. وقوله: "بسورةٍ مّن مّثْله"[١٩]. أي سورة من مثل محمد صلّى اللّه عليْه وسلّم في أنه ما جلس إلى معلّم، وما قرأ، ولا عرف عنه أنه تكلم بالبلاغة في أي فترة من مراحل حياته قبل الرسالة.

وقال الحق سبحانه: "قل لّوْ شاء الله ما تلوْته عليْكمْ ولا أدْراكمْ به فقدْ لبثْت فيكمْ عمراً مّن قبْله أفلا تعْقلون[٢٠]" [٢١].

معني الآية في كلتا الصورتين:

هناك أقوال عديدة في الْمثْليّة إذا كان الضّمير راجعا على الْمنزّل:

---

١٣. القران، سورة القصص، ٢٨: ٤٩

١٤.مستفاد من محاضرة الدكتور تاج أفسر، الأستاذ المساعد في قسم التفسير وعلوم القران في الجامعة الإسلامية العالمية إسلام أباد.

١٥. القران، سورة البقرة، ٢: ٢٣

١٦. القران، سورة يونس، ١٠: ٣٨

١٧. القران، سورة البقرة، ٢: ٢٣

١٨. القران، سورة يونس، ١٠: ٣٨

١٩. القران، سورة البقرة، ٢: ٢٣

٢٠. القران، سورة البقرة، ٢: ٢٣

٢١. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر (مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧)، ٥٩٣٩/١٠.

الْأوّل: يعني منْ مثْله في رصفه البديع ونظمه الحسن وأسلوبه العجيبة والغريبة وإيجازه وإتْقان معانيه.

الثّاني: منْ مثْله في أخباره عن الغيب بما وقع وبما يقع.

الثّالث: من مثله في الاحْتواء على فعل النهي والأمر، والوعد والوعيد والحكم والقصص وما إلى ذلك

الرّابع: في صداقته وسلامته من التغيير والتّبْديل.

الْخامس: منْ مثْله، أيْ من جنس كلام العرب.

السّادس: في أنّه لا تنتهي حلاوته ولا يتعب الإنسان من سماعه، عجائبه لا تنتهي أبدا وعجائبه لا تنتهي أبدا.

السّابع: "منْ مثْله في معجزات الكثيرة ودوام آياته".

الثّامن: "منْ مثْله، أيْ مثْل الكتب المتزلة على منْ قبْله، تشْهد لهم بأنّ ما جاءهم به ليْس هو منْ جانب اللّه"، كما قال تعالى: "قلْ هاتوا برْهانكمْ إنْ كنْتمْ صادقين".[٢٢]

أقوال عديدة إذا كان الضّمير راجعا على الْمنزّل (بكسر الزاء):

الْأوّل: منْ مثْله منْ أمّيٍّ لا يجيد الْكتابة ولا يعلمها أصلا.

الثّاني: منْ مثْله لمْ يجالس الْعلماء، والأدباء والْحكماء، ولمْ يسافر من مدينته إلى مدن أخري.

الثّالث: منْ مثْله على أنكم تزعمون أنّه ساحر وشاعر ومجْنون.

الرّابع: منْ مثْله أي من جنس كلام العرب،

وإتيان الْمثل في قوْله: منْ مثْله إما يكون على سبيل الْفرْض وإما لا يكون على سبيل الْفرْض، فإذا كان الضّمير راجعا إلي الْمنزّل فيكون ذكر المثل على سبيل الْفرْض وإذا كان الضّمير راجعا على الْمنزّل (بكسر الزاء)، فعلي بعضها لا يكون على سبيل الْفرْض وعلي بعضها يكون علي سبيل الفرض، وهو على قوْل منْ فسّر أنّه أراد بالْمثْل: كلام الْعرب الّذي هو منْ جنْسه، وأمّا إذا كان الضمير راجعا إلى الْمنزّل عليْه فلا يكون على سبيل الْفرْض، لأن الأمّيٍّ موجود وهو لا يجيد الْكتابة، ولأنه لمْ يدارس الْعلماء، ولأنه ساحرٌ على زعْمهمْ ذلك في الْمنزّل عليْه. [٢٣]. [٢٤]

المقدار المعجز من كلام رب العلمين:

قد اختلف العلماء في المقدار أيضًا على أقوال وذكر فهد بن عبد الرحمن هذه الأقوال وهي كالتالي:

الأول: أن تكون الإعجاز على صلة بالقرآن كله لا ببعضه، وهذا القول مرفوض بالآيات التي تتحدى

---

٢٢. القران، سورة البقرة، ٢: ١١١

٢٣. أبو حيان، البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، دار الفكر بيروت ١٤٢٠ هـ، ١/ ١٧٠.

٢٤. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠)، ١/١٧٠.

بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

الثاني: أن المعجزة مرتبطة بسورة كاملة، طويلة أو قصيرة، وهذا رأي الجمهور، وبعضهم أضاف أنها تتعلق أيضا بكمية السورة الكاملة من الكلام، بحيث تبين التفريق بين السورة" قوى البلاغة وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

الثالث: (وهو الراجح) أن الإعجاز متعلق بقليل القرآن وكثيره" لقوله تعالى: "فلْيأْتوا بحديثٍ مثْله إنْ كانوا صادقين"[٢٥] والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بيانه، وهذا هو ما نرجحه، والله أعلم.[٢٦]

وجوه إعجاز القرآن:

اتفق العلماء على أن القرآن معجزة أبدية، لكن هل الناس عاجزون في جانب واحد محدد؟ أو بطرق؟ لذلك نقول إن القرآن أضعف الناس في كثير من النواحي، من حيث الصياغة والمعنى والروح، كل هذه الجوانب أعاقت الناس عن المقاومة. واتفق العلماء أيضاً على أن العقول لم تدرك حتى الآن نواحي الإعجاز كلها و لم تحصرها في وجوه معدودات.

ومن المعلوم أن التدبر إذا زاد في الآيات القرآنية، وكشف الأسرار الكونية، وأظهر العجائب من الكائنات الحية وغير الحية، تظهر نواح من نواحي إعجاز القرآن الكريم، وقام الدليل على أنه من عند الله".

وقد ذكر العلامة يوسف البنوري في يتيمة البيان لمشكلات القرآن في وجوه الإعجاز الجهات الأربعة:

أولا: إعجاز القرآن باعتبار المفردات.

ثانيا: إعجاز القرآن باعتبار المركبات.

ثالثا: إعجاز القرآن باعتبار المقاصد.

رابعا: إعجاز القرآن باعتبار الحقائق.[٢٧]

أولها: الاتساق أي عبارة القرآن ومعناه وحكمه ونظريته متسقة:

> "القرآن مكون من ستة آلاف آية، وعبر بعبارات جيدة ومتنوعة وأساليب شتى ومختلفة، وطرق الموضوعات متعددة من الاعتقاد والخلق والتشريع، والنظريات أيضا كثيرة من الكونية والاجتماعية والوجدانية، ولا يوجد اختلاف بين بعضها وبعض في

---

٢٥. القران، سورة الطور، ٥٢: ٣٤

٢٦. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم (الرياض: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٣)، ٢٧٢.

٢٧. محمد يوسف البنوري، يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن (كراتشي: مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي، ١٩٩٥)، ٥٤.

نص القرآن، فلا يمكن أن نقول إن أسلوب هذه الآية بليغ والأخرى غير بليغ، وهذا اللفظ فصيح، وذاك ليس بفصيح، لا توجد عبارة أفضل في البلاغة من عبارة أخرى بل جميع العبارات موافقة ومطابقة للحال الذي يقتضيه، وكل عبارة في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه.

وكذلك ليس هناك معنى يخالف المعنى الآخر، أو حكمًا يخالف حكمًا، أو مبدأ يهدم مبدأ، أو هدفًا لا يتفق مع غيره فكما أنه لا اختلاف بين العبارة واللفظ، لا اختلاف بين المعني والحكم، ولا بين المبدأ والنظرية، ولو كان القرآن من عند غير الله لم يسلم من الاختلاف لفظا ومعني وحكما ومبدأ ونظرية وما إلي ذلك، لأن العقل الإنساني قاصر فلا يمكن أن يؤلف كتابا محفوظا عن الخطاء والمعارضة وإن كان الخطاء قليلا، فثبت من هذا أن القرآن ليس من عند غير الله بل هو منزل من الله سبحانه وتعالي، وإلى هذا النوع من المعجزات" أرشدنا الله سبحانه وتعالى بقوله في سورة النساء: "أفلا يتدبّرون الْقرْآن ولوْ كان منْ عند غيْر الله لوجدواْ فيه اخْتلافاً كثيراً".[٢٨].[٢٩]

ثانيها: آيات قرآنية تنطبق على ما يكتشفه العلم الحديث من نظريات:

"نزل القرآن الكريم على الرسول ليكون برهانا وحجة له ونظام حيات للناس، ومن المعلوم أن تقرير النظريات العلمية ليس من مقاصده الأصلية في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان والأفلاك والأجرام السماوية الأخرى من الكواكب والسيارات والنجوم، وإنما يذكر القرآن الكريم هذه الموجودات ليستدل بها علي وجود الله وتوحيده وليذكر الناس بنعم الله و آلائه، ومثل هذا من الأغراض، لقد تعامل القرآن الكريم معها بآيات تعرف منها الحقائق الكونية وقوانين الطبيعة، والتي أظهرت العلم الحديث في كل مرة براهينه، وأشار إلى أن الآيات القرآنية التي أشار إليها هي من عند الله، لأن الناس ليس لديهم علمهم، ولم يدركوا حقائقهم، بل كانوا يستدلون على ظواهرهم". "ظهر اكتشاف البحث العلمي في شكل سنة كونية، ومعرفة أن آية في القرآن الكريم تدل على هذه السنة جاءت دليلا جديدا على أن القرآن هو كتاب الله المنزل من عند الله، وعلى هذا النوع. من المعجزات" أرشدنا الله سبحانه بقوله في سورة فصلت: "قلْ أرأيْتمْ إن كان منْ عند اللّه ثمّ كفرْتم به منْ أضلّ ممّنْ هو في شقاق بعيد سنريهمْ آياتنا في الْآفاق وفي أنفسهمْ حتّى يتبيّن لهمْ أنّه الْحقّ أولمْ يكْف بربّك أنّه على كلّ شيْءٍ

٢٨. القران، سورة النساء، ٤: ٨٢

٢٩ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه (مكتبة الدعوة – شباب الأزه، س ن)، ٢٩.

شهيدٌ"[٣٠]

ومن هذه الآيات قول الله في سورة النمل في موضع الاستدلال على كمال قدرته ودعا إلى النظر في آثاره: "وترى الْجبال تحْسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السّحاب صنْع اللّه الّذي أتْقن كلّ شيْءٍ"[٣١]

وقوله تعالى: "وأرْسلْنا الرّياح لواقح"[٣٢] [٣٣]

ثالثها: الإخبار بحوادث في المستقبل لا يعلمها إلا الله:

نجد كثيرا من الوقائع والحوادث قد أخبر القرآن عن وقوعها في المستقبل لا يعلمها أحد إلا الله، كقوله تعالى: "الم، غلبت الرّوم، في أدْنى الْأرْض وهمْ منْ بعْد غلبهمْ سيغْلبون، في بضْع سنين"[٣٤]. وقوله سبحانه: "لتدْخلنّ الْمسْجد الْحرام إنْ شاء اللّه آمنين"[٣٥].

وقد حكى القرآن قصص الأمم القديمة التي ليس لها علامة أو معالم تدل على أخبارها، وهذا دليل على أن القرآن الكريم كتاب نزل من عند الله عارف الحاضر والماضي والمستقبل، وهذا النوع من المعجزات" أرشد الله سبحانه بقوله: "تلْك منْ أنْباء الْغيْب نوحيها إليْك ما كنْت تعْلمها أنْت ولا قوْمك منْ قبْل هذا[٣٦].

رابعها: ألفاظه الفصيحة وعباراته البليغة وقوته التأثيرية:

> "لا تجد في القرآن لفظا يناقض آخر، أوحكما يعارض حكماً، أو مبدأ يحطم مبدأ، أو يثبت التنافر بما قبله أو ما بعده، والعبارة تطابق مقتضى الأحوال في الدرجة العليا للمستوى البلاغي، ويظهر هذا في التشبيهات والأمثال والحجج والمجادلات، وأثبت القرآن العقائد الحقة وأبطل العقائد الزائغة، وكفى بالدليل والحجة على ذلك شهادة أهل الخبرة من أعدائه، وتثبت الاعتراف بأهل البلاغة والبلاغة بين خصومه". والإمامان: الزمخشري في تفسيره "الكشاف"، وعبد القاهر في كتابهما "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ذكرا وجوها كثيرة للفصاحة والبلاغة في آيات قرآنية وأما قوته التأثيرية في نفوس الناس أو القلوب، فهذا ما يعترف به كل إنسان ذي وجدان، وحسبنا برهانا على هذا أن القرآن ليس بممل يمل الإنسان سماعه ويتعب بتلاوته، وقد صح عن الوليد

٣٠. القران، سورة فصلت، ٤١: ٥٢-٥٣

٣١. القران، سورة النمل، ٢٧: ٨٨

٣٢. القران، سورة الحجر، ١٥: ٢٢

٣٣. خلاف، علم أصول الفقه، ٣١.

٣٤. القران، سورة الروم، ٣٠: ١

٣٥. القران، سورة الفتح، ٤٨: ٢٧

٣٦. القران، سورة هود، ١١: ٤٩

بن المغير حيث قال: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدك، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر والحق ما شهدت به الأعداء". [٣٧]

خلاصة الأمر:

أن وجوه الإعجاز ليس من الممكن البتة حصرها، وكما قلنا القرآن علامة إعجازية، ليس فقط من حيث البلاغة والبلاغة، ولا من حيث النظم والأسلوب فقط، ولا من حيث تحويل دوافع معارضته فقط، ولا من حيث إخباره بالغيب فقط، بل هو بالأحرى علامة معجزة واضحة في جوانب عديدة لا يمكن استقصاءها، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة، في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب في الماضي، وعن الغيب في المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة" كما قال تعالى: "ولقدْ صرّفْنا للنّاس في هذا الْقرْآن منْ كلّ مثلٍ فأبى أكْثر النّاس إلّا كفوراً"[٣٨] وقال سبحانه: "ولقدْ ضربْنا للنّاس في هذا الْقرْآن منْ كلّ مثلٍ ولئنْ جئْتهمْ بآيةٍ ليقولنّ الّذين كفروا إنْ أنْتمْ إلّا مبْطلون".[٣٩]

الخاتمة وهي مشتملة على أهم النتائج:

ولا شك أن القرآن كلام رب العلمين وهو معجزة خالدة، وأنزل الله سبحانه وتعالي ليشفي به صدور المؤمنين وينذر به أقواما آخرين، فيه نظام حيات للدولة الإسلامية ومنهج متكامل ينظم حياة المجتمع والفرد وبه ضبط جموح الشهوات والأهواء، ولايزال كلام الله يمدنا بأنواع من العلوم الحديثة وكنوز المعرفة ويثبت وينشط عقولنا بإثارة الفكر، وفوق كل هذا القرآن نور هاد إلى الطريق المستقيم ويرشدنا إلى نعيم الجنة.

وأهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث هي ما يلي:

أولا: إن القرآن تحدى الكفار على مراحل أربعة، فلم يأتوا بمثله، فعلم من هذا أن القران معجز بنفسه.

ثانيا: "أن القول بالصرفة قول بين الفساد وقد رد عليه القرآن" في قوله تعالى: "قلْ لئن اجْتمعت الْإنْس والْجنّ على أنْ يأْتوا بمثْل هذا الْقرْآن لا يأْتون بمثْله ولوْ كان بعْضهمْ لبعْضٍ ظهيراً"، "فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى".

ثالثا: إن لمراد بالمثلية في قوله تعالي "فأتوا بسورة من مثله" الهداية، لأن القرآن هدي للناس، والناس فيهم العرب والعجم، ففي هذه الصورة التحدي شامل لكافة الناس.

---

٣٧ خلاف، علم أصول الفقه، ٣١.

٣٨. القران، سورة الإسراء، ١٧: ٨٩

٣٩. القران، سورة الروم، ٣٠: ٥٨

رابعا: إن الضمير يرجع في قوله "فأْتوا بسورةٍ منْ مثله" إما إلى القرآن أو إلي الرسول أي مثْل الْقرْآن، أو مثل الرسول فأتوا بسورة منْ مثْل الرّسول صلّى اللّه عليْه وسلّم، أيْ منْ أحدٍ من النّاس.

خامسا: إن وجوه الإعجاز عديدة وكلها محتملة صحيحة، لا تعارض بينها.

وإضافة إلى ذلك تبين لي من خلال البحث المستمر أن الله سبحانه وتعالى قد نسق جميع عبارات كتابه بتنسيق جيد ومحكم، ولكن قد لا نقدر من رؤية هذا النسق والتنسيق في كلمة ما، فليس معناه أن هذا النظام والنسق غير موجود، بل على العكس كلما أمعننا النظر وتفكرنا في كلمات القرآن وجدنا إعجازاً أكبر.

ومن المعلوم أننا لو طالعنا هذا القرآن حقّ المطالعة، وتعمقنا النظر الآيات القرآنية وقدمنا للعالم أعظم شأنه ومعجزاته، سوف نجد نظرة غير المسلمين لهذا القرآن تختلف تماما، بل سيحاولون أن يعرفوا أن الإسلام هو دين الحق المتين وهو دين الرحمة والتسامح.

المصادر والمراجع

القران الكريم

أبو حيان, أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان. *البحر المحيط في التفسير*. المحقق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠.

البنوري، محمد يوسف. *يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن*. كراتشي: مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي، ١٩٩٥.

خلاف، عبد الوهاب. *علم أصول الفقه*. مكتبة الدعوة – شباب الأزهر، س ن.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠.

الرومي، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. *دراسات في علوم القرآن الكريم*. الرياض: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٣.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. *الإتقان في علوم القرآن*. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.

الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي – الخواطر*. مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧.

القطان، مناع بن خليل. *مباحث في علوم القرآن*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.